ذكر أخبار ملوك الفرس
بعد الإسكندر وهم ملوك الطوائف

لما مات الإسكندر، ملك بلاد الفرس بعده ملوك الطوائف، وقد تقدم ذكر السبب في تمليكهم، وقيل: كان السبب في ذلك أن الإسكندر لما ملك بلاد الفرس، ووصل إلى ما أراد، كتب إلى أرسطاطاليس الحكيم: إني قد وترت جميع من في بلاد المشرق، وقد خشيت أن يتفقوا بعدي على قصد بلادنا وإيذاء قومنا، وقد هممت أن أقتل أولاد من قتلت من الملوك، وألحقهم بآبائهم، فما ترى؟ فكتب إليه: إنك إن قتلت أبناء الملوك أفضى الملك إلى السّفل والأنذال، والسّفل إذا ملكوا قذروا، وإذا قدروا طغوا وبغوا وظلموا، وما يخشى من معرتهم أكثر، والرأي أن تجمع أبناء الملوك فتملك كل واحد منهم بلداً واحداً، وكورة واحدة، فإن كل واحد منهم يقوم في وجه الآخر، يمنعه عن بلوغ غرضه، خوفاً على ما بيده، فتتولد العداوة بينهم، فيشتغل بعضهم ببعض، فلا يتفرغون إلى من بعد عنهم[1]/ .

ج١/١٦٦/ط

فعندها قسم الإسكندر بلاد المشرق على ملوك الطوائف، ونقل عن بلدانهم النجوم والحكمة[2].

[1]وكان[1] من حالهم بعد الإسكندر ما ذكره أرسطاطاليس، واشتغلوا عن قصد اليونان ، وكان أرسطاطاليس من أفضل الحكماء وأعلمهم، وكان الإسكندر يصدر عن رأيه، وأخذ الحكمة عن أفلاطون تلميذ سقراط، وسقراط تلميذ أوسيلاوس في الطبيعيات دون غيرها، ومعناه: رأس السباع، وكان أوسيلاوس تلميذ انكساغورس، إلا أن أرسطاطاليس خالف

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٥٨٠).

(٢) ذكره الأصفهاني في «تاريخ سنيّ ملوك الأرض» (٣٩، ٤٠)، وذكره الثعالبي في «أخبار ملوك الفرس وسيدهم» (٤١٨)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (١٥/ ٢٤١)، وذكره ابن حمدون في «التذكرة الحمدونية» (٢/ ٣٩٨)، وذكره ابن زيدون في «سرح العيون» (٦٧، ٦٨).

(1-1) في المخطوطة: فكان.

أستاذه في عدة مسائل، فلما قيل[1] له في ذلك، قال: أفلاطون صديق، والحق صديق، إلا أن الحق أولى بالصداقة منه.

وقد اختلف العلماء في الملك الذي كان بسواد العراق بعد[2] الإسكندر، وعدد ملوك الطوائف الذين ملكوا إقليم بابل، فقال هشام بن الكلبي وغيره: ملك بعد الإسكندر بلاقس سلبقيس، ثم أنطيخس، وهو الذي بنى مدينة أنطاكية، وكان في أيدي هؤلاء الملوك سواد الكوفة أربعاً وخمسين سنة، وكانوا يتطرقون الجبال وناحية الأهواز وفارس[١].

ذكر ملك أشك بن أشكان

ثم خرج رجل يقال له: أشك، وهو من ولد دارا الأكبر، وكان مولده[3] ومنشأه بالريّ، فجمع جمعاً كبيراً وسار يريد أنطيخس، وزحف إليه أنطيخس والتقيا ببلاد الموصل، فقتل أنطيخس، وملك أشك السواد، وصار بيده من الموصل إلى الري وأصبهان وعظمته[4] سائر ملوك الطوائف لسنه وشرفه وفعله، وبدأوا به في كتبهم، وسموه ملكاً من غير أن يعزل أحداً منهم[٢].

ثم ملك بعده ابنه سابور بن أشك.

ذكر ملك جوذرز

ثم ملك بعد سابور جوذرز أشكان، وهو الذي غزا بني إسرائيل في المرة الثانية، وسبب تسليط الله إياه عليهم، قتلهم يحيى بن زكريا، فأكثر القتل فيهم، فلم يعد لهم جماعة كجماعتهم الأولى، ورفع الله منهم النبوة، وأنزل بهم الذل[٣].

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٥٨٠، ٥٨١)، وذكره المنجي في «تاريخه» (١/ ١٢٢)، وذكره الأصفهاني في «تاريخ سنيّ ملوك الأرض» (٦٤).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٥٨١)، وذكره المقدسي في «البدء والتاريخ» (٣/ ١٥٥).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٥٨٠)، وذكره المقدسي في «البدء والتاريخ» (٣/ ١٥٥)، وذكره المسعودي في «مروج الذهب» (١/ ٢٣٦)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (١٥/ ١٦٥)، وذكره الأصفهاني في «تاريخ سنيّ ملوك الأرض» (٤١).

---

(1) في المخطوطة: قال.
(2) في المخطوطة: قبل.
(3) في المخطوطة: مولوده.
(4) في المخطوطة: عظمه.

وقيل: إن الذي غزا بني إسرائيل طيطوس بن إسفيانوس ملك الروم، فقتلهم وسباهم، وخرب بيت[1] المقدس(١).

وقد كانت الروم غزت بلاد فارس يطلبون ثأر أنطيخس، وملك بابل حينئذٍ[2] «بلاش أبو أردوان» الذي قتله «أردشير بن بابك»، فكتب بلاش إلى ملوك الطوائف يعلمهم ما أجمعت عليه الروم من غزو بلادهم، وما حشدوا وجمعوا، وأنه إن عجز عنهم ظفروا بهم جميعاً، فوجه/ كل ملك من ملوك الطوائف إلى بلاش من الرجال والسلاح والمال بقدر قوته؛ فاجتمع عنده أربعمائة ألف رجل، فولى عليهم صاحب الحضر، وكان له ما بين السواد والجزيرة، فلقي الروم، وقتل ملكهم، واستباح عسكرهم[3]، وذلك الذي هيج الروم على بناء القسطنطينية، ونقل الملك من رومية[4] إليها، وكان الذي أنشأها قسطنطين الملك، وهو أول من تنصر من ملوك الروم، وأجلى من بقي من بني إسرائيل عن فلسطين والشام، لقتلهم عيسى بزعمهم، وأخذ الخشبة التي يزعمون أنهم صلبوا المسيح عليها، فعظَّمها الروم. وأدخلوها خزائنهم، وهي عندهم إلى اليوم، ولم يزل ملك فارس متفرقاً، حتى ملك أردشير بن بابك ولم يبين هشام مدة ملكهم(٢).

ج١/١٦٧ط

وقال غيره من أهل العلم بأخبار فارس: ملك بلادهم بعد الإسكندر ملوك من غير الفرس، كانوا يطيعون كل من ملك بلاد الجبل، وهم الأشغانيون الذين يدعون ملوك الطوائف، وكان ملكهم مائتي[5] سنة.

وقيل: كان ملكهم ثلثمائة وأربعين سنة، ملك من هذه السنين أشك بن أشكان عشرين سنة، ثم ابنه سابور ستين سنة، وفي إحدى وأربعين سنة من ملكه ظهر المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وإن «تيطوس بن إسفيانوس» ملك رومية غزا بيت المقدس، بعد ارتفاع المسيح بنحو من أربعين سنة، فملك المدينة[6]، قتل وسبى وأخرب المدينة، ثم ملك جوذرز/ بن أشغان الأكبر عشر سنين، ثم ملك بيرن الأشغاني إحدى وعشرين سنة، ثم ملك جوذرز الأشغاني تسعاً وثمانين سنة، ثم ملك نرسي الأشغاني أربعين سنة، ثم ملك

ج١/١/٤٢

(١) ذكره المسعودي في «مروج الذهب» (١/ ٢٣٦).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٥٨٠، ٥٨١).

(1) في المخطوطة: البيت.
(2) في المخطوطة: يومئذ.
(3) في المخطوطة: عسكره.
(4) في المخطوطة: الرومية.
(5) في المخطوطة: مائتا.
(6) في المخطوطة: المدينة و.

هرمز الأشغاني سبع عشرة سنة، ثم ملك أردوان الأشغاني اثنتين وعشرين سنة، ثم ملك كسرى الأشغاني أربعين سنة، ثم ملك بلاش الأشغاني أربعاً وعشرين سنة، ثم ملك أردوان الأصغر ثلاث عشرة سنة، ثم ملك أردشير بن بابك[١].

وقال بعضهم: ملك بلاد الفرس بعد الإسكندر ملوك الطوائف الذين فرق الإسكندر المملكة بينهم، وتفرد بكل ناحية من ملك عليها، من حين ملكه عليها، ما خلا السواد، فإنه كان أربعاً وخمسين سنة بعد هلاك الإسكندر في يد الروم، وكان في ملوك الطوائف رجل من نسل الملوك قد ملك الجبال وأصبهان، ثم غلب ولده بعد ذلك على السواد، وكانوا ملوكاً عليها، وعلى الماهات والجبال؛ وأصبهان كالرئيس على سائر ملوك الطوائف؛ لأن العادة جرت بتقديمه وتقديم ولده؛ ولذلك قصد لذكرهم في [كتب] سير/ الملوك، فاقتصرنا على ذكرهم دون غيرهم، فكانت مدة ملوك الطوائف مائتي سنة وستين سنة، وقيل: ثلاثمائة وأربعاً[1] وأربعين سنة، وقيل: خمسمائة وثلاثاً وعشرين سنة، والله أعلم[٢].

ج١ / ١٦٨/ط

فمن[2] الملوك الذين ملكوا الجبال، ثم تهيأت بعد أولادهم الغلبة على السواد: أشك بن جزه، وهو من ولد إسفنديار بن بشتاسب في قول، وبعض الفرس زعم أن أشك بن دارا. قال[3] بعضهم: أشك بن أشكان الكبير[4]، هو من ولد كيكاووس، وكان ملكه عشرين سنة. ثم ملك بعده أشك ابنه إحدى وعشرين سنة، ثم ملك ابنه سابور ثلاثين سنة، ثم ملك ابنه جوذرز عشر سنين، ثم ملك ابنه تيرى إحدى وعشرين سنة، ثم ملك ابنه جوذرز الأصغر تسع عشرة سنة، ثم ابنه نرسة أربعين سنة، ثم ملك هرمز بن بلاش بن أشكان سبع عشرة سنة. ثم أردوان الأكبر بن أشكان اثنتي عشرة سنة، ثم كسرى بن أشكان أربعين سنة، ثم أردوان الأصغر بن بلاش ثلاث عشرة سنة، وكان أعظم ملوك الأشكانية، وأظهرهم وأعزهم قهراً للملوك، ثم ملك أردشير بن بابك، وجمع مملكة الفرس، على ما نذكره إن شاء الله، وقد عد بعضهم في أسماء الملوك غير ما ذكرنا، لا حاجة إلى الإطالة بذكره، وقد ذكرنا بعض ما قيل عند ملك أردشير بن بابك[٣].

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٥٨١، ٥٨٢)، وذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (١/ ٤٦)، وذكره ابن الوردي في «تتمة المختصر في أخبار البشر» (١/ ٦٤).

(٢) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٢/ ١٩٣)، وذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٥٨٢).

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٥٨٢، ٥٨٣)، وذكره المسعودي في «مروج الذهب» (١/ ٢٣٥).

---

(1) في المخطوطة: أربع.

(2) في المخطوطة: في قول فمن.

(3) في المخطوطة: وقال.

(4) في المخطوطة: الكبير و.

ذكر الأحداث أيام ملوك الطوائف فمن ذلك ذكر المسيح عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا [عليهما السلام]

إنما جمعنا هذين الأمرين العظيمين في هذه الترجمة لتعلق أحدهما بالآخر، فنقول: كان عمران بن ماثان من ولد سليمان بن داود، وكان آل ماثان رؤوس بني إسرائيل وأحبارهم، وكان متزوجاً بحنة بنت فاقوذ، وكان زكريا بن برخيا متزوجاً بأختها إيشاع[1].

وقيل: كانت إيشاع أخت مريم بنت عمران، وكانت حنة قد كبرت وعجزت، ولم تلد ولداً، فبينما هي في ظل شجرة، أبصرت طائراً يزق فرخاً له، فاشتهت الولد، فدعت الله أن يهب لها ولداً، ونذرت إن يرزقها ولداً، أن تجعله من سدنة بيت المقدس وخدمته، فحررت ما في بطنها، ولم تعلم ما هو[2].

وكان النذر المحرر عندهم أن يجعل للكنيسة، يقوم بخدمتها، ولا يبرح منها حتى يبلغ الحلم، فإذا بلغ خُيِّر، فإن أحب أن يقيم فيها أقام، وإن أحب أن يذهب ذهب حيث شاء. ولم يكن يحرر إلا الغلمان؛ لأن الإناث لا يصلحن لذلك، لما يصيبهن من الحيض/ والأذى[3].

ج١/١٦٩/ط

ثم هلك عمران وحنة حامل بمريم، فلما وضعتها إذ هي أنثى، فقالت عند ذلك: ﴿رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾[4] في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾[4]؛ وهي بلغتهم العبادة[5].

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٥٨٥)، وذكره اليعقوبي في «تاريخه» (١/ ٦٨)، وذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (٢٩٣)، وذكره المسعودي في «مروج الذهب» (١/ ٦٢)، وذكره النويري في «نهاية الأرب» (١٤/ ١٩٥).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٥٨٥)، وذكره ابن الجوزي في «مرآة الزمان» (١/ ٥٦٦).

(٣) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (٢٩٣).

(٤) سورة: آل عمران، الآية: ٣٦.

(٥) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (٢٩٣).

ثم لفتها في خرقة، وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار أبناء هارون، وهم يلون من بيت المقدس ما يلي بنو شيبة من الكعبة. فقالت: دونكم هذه المنذورة، فتنافسوا فيها؛ لأنها بنت إمامهم وصاحب قربانهم، فقال زكريا: أنا أحق بها؛ لأن خالتها عندي، فقالوا: لكنا نقترع عليها، فألقوا أقلامهم في نهر جار، قيل: هو نهر الأردن، فألقوا فيه أقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة، فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم، فأخذها وكفلها، وضمها إلى خالتها أم يحيى، واسترضع لها حتى كبرت، فبنى لها غرفة في المسجد، لا يرقى إليها إلا بسلم، ولا يصعد إليها غيره، وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، فيقول: أنَّى لكِ هذا؟ فتقول: هو من عند الله.

فلما رأى زكريا ذلك منها دعا الله تعالى، ورجا الولد، حيث رأى فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، فقال: إن الذي فعل هذا بمريم قادر على أن يصلح زوجتي حتى تلد، فـ ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾(١)(٢).

فبينما هو يصلي في المذبح الذي لهم، فإذا هو برجل شاب، هو جبريل، ففزع زكريا منه، فقال له: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾(٣) يعني عيسى(1) ابن مريم[عليه السلام]، ويحيى أول من آمن بعيسى وصدقه؛ وذلك أن أمه/ كانت حاملاً به، فاستقبلت مريم وهي حامل بعيسى، فقالت لها: يا مريم أحامل أنت؟ فقالت(2): لماذا تسأليني؟ قالت: لما إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك، فذلك تصديقه(٤). ج١/٤٢/ب

وقيل: صدق المسيح عليه السلام، وله ثلاث سنين، وسماه الله تعالى: يحيى، ولم يكن قبله من تسمَّى هذا الاسم، قال الله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا﴾(٥) وقال تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾(٦).

---

(١) سورة: آل عمران، الآية: ٣٨.

(٢) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (٢٩٤)، وذكره المقدسي في «البدء والتاريخ» (٣/ ١١٩).

(٣) سورة: آل عمران، الآية: ٣٩.

(٤) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (٢٩٥، ٢٩٦)، وذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٥٩٩)، وذكره المقدسي في «البدء والتاريخ» (٣/ ١١٨).

(٥) سورة: مريم، الآية: ٧.

(٦) سورة: مريم، الآية: ١٥.

---

(1) في المخطوطة: المسيح.

(2) في المخطوطة: قالت.

قيل: أوحش ما يكون ابن آدم في هذه الأيام الثلاثة، فسلمه الله تعالى من وحشتها، وإنما ولد يحيى قبل المسيح بثلاث سنين، وقيل: بستة أشهر، وكان لا يأتي النساء ولا يلعب مع الصبيان[١].

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾[٢] وكان عمره اثنتين وتسعين سنة، وقيل: مائة وعشرين سنة.

وكانت امرأته ابنة ثمان وتسعين سنة، فقيل له: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ/ مَا يَشَآءُ﴾[٣]، ج١/١٧٠/ط وإنما قال ذلك استخباراً، هل يرزق الولد من امرأته العاقر أم غيرها، لا إنكاراً لقدرة الله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾[٤]. قال: أمسك الله لسانه عقوبة لسؤاله الآية، والرمز؛ الإشارة.

فلما ولد رآه [أبوه] حسن الصورة، قليل الشعر، قصير الأصابع، مقرون الحاجبين، دقيق الصوت، قوياً في طاعة الله مذ كان صبياً، قال الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[٥]، قيل: إنه قال له يوماً الصبيان أمثاله: يا يحيى اذهب بنا نلعب، فقال لهم: ما للعب خلقت، وكان يأكل العشب وأوراق الشجر، وقيل: كان يأكل خبز الشعير، ومر به إبليس ومعه رغيف شعير، فقال: أنت تزعم أنك زاهد، وقد ادخرت رغيف شعير؟ فقال: يحيى يا ملعون هو القوت، فقال إبليس: إن الأقل من القوت يكفي لمن يموت، فأوحى الله إليه: اعقل ما يقول لك.

ونبيء صغيراً، فكان يدعو الناس إلى عبادة الله، ولبس الشعر، فلم يكن له دينار ولا درهم ولا مسكن[1] يسكن إليه، أينما جنه الليل أقام، ولم يكن له عبد ولا أمة، واجتهد في العبادة، فنظر يوماً إلى بدنه وقد نحل، فبكى، فأوحى الله إليه: يا يحيى أتبكي لما نحل من جسمك؟ وعزتي وجلالي لو اطلعت في النار اطلاعةً، لتدرعت الحديد عوض الشعر! فبكى حتى أكلت الدموع لحم خديه، وبدت أضراسه للناظرين، فبلغ ذلك أمه، فدخلت عليه.

---

(١) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (٢٩٦).
(٢) سورة: آل عمران، الآية: ٤٠.
(٣) سورة: آل عمران، الآية: ٤٠.
(٤) سورة: آل عمران، الآية: ٤١.
(٥) سورة: مريم، الآية: ١٢.

---

(1) في المخطوطة: بيت.

وأقبل زكريا ومعه الأحبار، فقال: يا بني ما يدعوك إلى هذا؟ قال: أنت أمرتني بذلك حيث قلت: إن بين الجنة والنار عقبة، لا يجوزها إلا البكّاؤون من خشية الله. فقال: فابك واجتهد إذن. فصنعت له أمه قطعتي لبدٍ على خديه، تواري أضراسه، فكان يبكي حتى يبلهما، وكان زكريا إذا أراد يعظ الناس نظر، فإن كان يحيى حاضراً لم يذكر جنة ولا ناراً.

وبعث الله عيسى رسولاً نسخ بعض أحكام التوراة، فكان[1] مما نسخ أنه حرم نكاح بنت الأخ، وكان لملكهم، واسمه: هيرودس، بنت أخ تعجبه يريد أن يتزوجها، فنهاه يحيى عنها، وكان لها كل يوم حاجة يقضيها لها. فلما بلغ ذلك أمها، قالت لها: إذا سألك الملك ما حاجتك؟ فقولي: أن تذبح يحيى بن زكريا فلما دخلت عليه وسألها ما حاجتك؟ قالت: أريد أن تذبح يحيى بن زكريا/ . فقال: سلي غير هذا، قالت: ما أسألك غيره، فلما أبت دعا بيحيى ودعا بطست فذبحه، فلما رأت الرأس قالت: اليوم قرَّت عيني! فصعدت إلى سطح قصرها، فسقطت منه إلى الأرض، ولها كلاب ضارية تحته؛ فوثبت الكلاب عليها فأكلتها وهي تنظر، وكان آخر ما أكل منها عيناها لتعتبر؛ فلما قتل بذرت قطرة من دمه على الأرض، فلم تزل تغلي حتى بعث الله بختنصر عليهم، فجاءته امرأة فدلَّته على ذلك الدم، فألقى الله في قلبه أن يقتل منهم على ذلك الدم حتى يسكن، فقتل [منهم] سبعين ألفاً حتى [2]سكن الدم[2][1].

ج١/١٧١/ط

وقال السدي نحو هذا، غير أنه قال: أراد الملك أن يتزوج بنت امرأة له، فنهاه يحيى عن ذلك، فطلبت المرأة من الملك قتل يحيى، فأرسل إليه فقتله[3]، وأحضر رأسه في طست وهو يقول له: لا تحل لك، فبقي دمه يغلي، فطرح عليه تراب حتى بلغ سور المدينة، فلم يسكن الدم. فسلط الله عليهم بختنصر في جمع عظيم، فحصرهم فلم يظفر بهم، فأراد الرجوع، فأتته امرأة من بني إسرائيل، فقالت: بلغني أنك تريد العود! قال: نعم؛ قد طال المقام، وجاع الناس، وقلَّت الميرة بهم، وضاق عليهم، فقالت: إن فتحت لك المدينة، أتقتل من آمرك بقتله، وتكف إذا أمرتك؟ قال: نعم، قالت: اقسم جندك أربعة أقسام على نواحي المدينة، ثم ارفعوا أيديكم إلى السماء، وقولوا: اللهم إنا نستفتحك على دم يحيى بن زكريا ففعلوا، فخرب سور المدينة، فدخلوها، فأمرتهم العجوز أن يقتلوا على دم يحيى بن زكريا حتى يسكن، فلم يزل يقتل حتى قتل سبعين ألفاً وسكن الدم، فأمرته بالكف [4]وكف[4].

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٥٨٦، ٥٨٧)، وذكره أيضاً في «تفسيره» (٩/ ٤٣)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ٨)، وذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (٢٩٩).

---

(1) في المخطوطة: وكان.
(2-2) في المخطوطة: تسكن.
(3) في المخطوطة: فقتله.
(4-4) في المخطوطة: فكن.

وخرب بيت[1] المقدس، وأمر أن تلقى فيه الجيف، وعاد ومعه دانيال وغيره من وجوه بني إسرائيل، منهم: عزريا، وميشائيل، ورأس الجالوت، فكان دانيال أكرم الناس عليه، فحسدهم المجوس وسعوا بهم إلى بختنصر، وذكر نحو ما تقدم من/ إلقائهم إلى السبع، ونزول الملك عليهم، ومسخ بختنصر، ومقامه في الوحش سبع سنين[1]. ج١/٤٣أ

وهذا القول، وما لم نذكره من الروايات من أن بختنصر هو الذي خرب بيت المقدس، وقتل بني إسرائيل، عند قتلهم يحيى بن زكريا، باطل عند أهل السير والتاريخ، وأهل العلم بأمور الماضين، وذلك أنهم أجمعون مجمعون على أن بختنصر غزا بني إسرائيل، عند قتلهم نبيهم شعيا، في عهد إرميا بن حلقيا، وبين عهد إرميا وقتل يحيى أربعمائة سنة وإحدى/ وستون سنة عند اليهود والنصارى، ويذكرون أن ذلك في كتبهم وأسفارهم مبيَّن، وتوافقهم المجوس في مدة غزو بختنصر بني إسرائيل، إلى موت الإسكندر، وتخالفهم في مدة ما بين موت الإسكندر ومولد يحيى، فيزعمون أن مدة ذلك كانت إحدى وخمسين سنة[2]. ج١/١٧٢ط

وأما ابن إسحاق فإنه قال: الحق أن بني إسرائيل عمروا بيت[1] المقدس، بعد مرجعهم من بابل وكثروا، ثم عادوا يحدثون الأحداث، ويعود الله سبحانه وتعالى عليهم، ويبعث فيهم الرسل، ففريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون، حتى كان آخر من بعث الله فيهم زكريا وابنه يحيى، وعيسى [ابن مريم] عليهم[2] [السلام]، فقتلوا يحيى وزكريا، فابتعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له: جودرس، فسار إليهم حتى دخل عليهم الشام، فلما دخل عليهم بيت[3] المقدس قال لقائد عظيم من عسكره اسمه: نبوزاذان، وهو صاحب الفيل: إني كنت حلفت لئن أنا ظفرت ببني إسرائيل، لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري، إلا أن لا أجد من أقتله، وأمره أن يدخل المدينة ويقتلهم، حتى يبلغ ذلك منهم، فدخل نبوزاذان المدينة، فأقام في المدينة التي يقربون فيها قربانهم، فوجد فيها دماً يغلي، فقال: يا بني إسرائيل! ما شأن هذا الدم يغلي؟ فقالوا: هذا دم قربان لنا لم يقبل، فلذلك هو يغلي. فقال: ما صدقتموني الخبر! فقالوا: إنه قد انقطع منا الملك والنبوة، فلذلك لم يقبل منا، فذبح منهم

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٥٨٧، ٥٨٨) مطولاً، وذكره أيضاً في «تفسيره» (٢/ ٣٢، ٣٣)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ١١، ١٢).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٥٨٩، ٥٩٠)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ١٢، ١٣).

(1) في المخطوطة: البيت.
(2) في المخطوطة: عليه.
(3) في المخطوطة: البيت.

على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رجلاً من رؤوسهم، فلم يهدأ، فأمر بسبعمائة من علمائهم، فذبحوا على الدم، فلم يهدأ[١].

فلما رأى الدم لا يبرد قال لهم: يا بني إسرائيل! أصدقوني واصبروا على أمر ربكم، فقد طال ما ملكتم في الأرض تفعلون ما شئتم، قبل أن لا أدع منكم نافخ نار، ولا ذكراً إلا قتلته، فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر، وقالوا: هذا نبي كان ينهانا عن كثير ما يسخط الله ويخبرنا بخبركم، فلم نصدقه وقتلناه فهذا دمه؛ فقال: ما كان اسمه؟ قالوا: يحيى بن زكريا، قال: الآن صدقتموني، لمثل هذا انتقم ربكم منكم، وخر ساجداً، وقال لمن حوله: أغلقوا أبواب المدينة، وأخرجوا من ههنا من جيش جودرس، ففعلوا وخلا في بني إسرائيل، ثم قال للدم: يا يحيى قد علم ربي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك، وما قتل منهم، فاهدأ بإذن الله قبل أن لا يبقى من قومك أحد. فسكن الدم، ورفع نبوزاذان/ القتل، وقال: آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل، وصدقت به، وأيقنت أنه لا رب غيره[٢]. ج١/١٧٣/ط

ثم قال لبني إسرائيل: إن جودرس أمرني أن أقتل فيكم[1]، حتى تسيل دماؤكم في عسكره، ولست أستطيع أن أعصيه، قالوا: افعل، فأمرهم أن يحفروا حفيرة، وأمر بالخيل، والبغال والحمير، والبقر، والغنم، والإبل فذبحها[2]، حتى كثر الدم، وأجرى عليه ماء، فسال الدم في العسكر، فأمر[3] بالقتلى الذين كان قتلهم، فألقوا فوق المواشي، فلما نظر جودرس إلى الدم قد بلغ عسكره، أرسل إلى نبوزاذان[4]: أن ارفع [5]القتل عنهم[5]، فقد انتقمت منهم بما فعلوا. وهي الوقعة الأخيرة التي أنزل الله ببني إسرائيل، يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٥٩٠، ٥٩١)، وذكره أيضاً في «تفسيره» (٩/ ٤٠ ـ ٤٢)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ١٣).

(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٥٩١، ٥٩٢).

(1) في المخطوطة: منكم.
(2) في المخطوطة: فذبح.
(3) في المخطوطة: وأمر.
(4) في المخطوطة: بني.
(5-5) في المخطوطة: عنهم القتل.

كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾[١]، وعسى من الله حق.

وكانت الوقعة الأولى بختنصر وجنوده، ثم رد الله سبحانه لهم الكرة، ثم كانت الوقعة الأخيرة جودرس وجنوده، وكانت أعظم الوقعتين، فيها كان خراب بلادهم وقتل رجالهم وسبي ذراريهم ونسائهم، يقول الله تعالى: ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾[٢].

وزعم بعض أهل العلم: أن قتل يحيى كان أيام أردشير بن بابك. وقيل: كان قتله قبل رفع المسيح عليه السلام بسنة ونصف[٣]، والله أعلم.

ذكر قتل زكريا[1]

لما قتل يحيى، وسمع أبوه بقتله، فرّ هارباً، فدخل بستاناً عند بيت[2] المقدس، فيه أشجار، فأرسل الملك في طلبه، فمر زكريا بالشجرة، فنادته: هلمّ إليّ يا نبي الله! فلما أتاها انشقت فدخلها، فانطبقت عليه، وبقي في وسطها.

فأتى عدو الله إبليس، فأخذ هدب ردائه، فأخرجه من الشجرة ليصدقوه إذا أخبرهم، ثم لقي الطلب فأخبرهم، فقال لهم: ما تريدون؟ فقالوا: نلتمس زكريا، فقال: إنه سحر هذه الشجرة، فانشقت له فدخلها، قالوا: لا نصدقك! قال: فإن لي علامة تصدقوني بها، فأراهم طرف ردائه، فأخذوا الفؤوس وقطعوا الشجرة/ اثنتين/، وشقوها بالمنشار، فمات زكريا فيها، فسلط الله عليهم أخبث أهل الأرض، فانتقم به منهم.

ج١ ٤٣/ب

ج١ ١٧٤/ط

وقيل: إن السبب في قتله، أن إبليس جاء إلى مجالس بني إسرائيل، فقذف زكريا بمريم، وقال لهم: ما أحبلها غيره، وهو الذي كان يدخل عليها، فطلبوه فهرب، وذكر من دخوله الشجرة نحو ما تقدم[٤].

---

(١) سورة: الإسراء، الآيات: ٤ ـ ٨.

(٢) سورة: الإسراء، الآية: ٧.

(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٥٩٢، ٥٩٣)، وذكره أيضاً في «تفسيره» (٩/ ٤٢).

(٤) ذكره الثعلبي في «قصص الأنبياء» (٣٤٢)، وذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ١٧).

---

(1) في المخطوطة: زكريا عليه السلام.

(2) في المخطوطة: البيت.

ذكر ولادة المسيح عليه السلام ونبوته إلى آخر أمره

كانت ولادة المسيح أيام ملوك الطوائف، قالت المجوس: كان ذلك بعد خمس وستين سنة من غلبة الإسكندر على أرض بابل، وبعد إحدى وخمسين سنة مضت من ملك الأشكانيين، وقالت النصارى: إن ولادته كانت لمضي ثلثمائة وثلاث وستين سنة، من وقت غلبة الإسكندر على أرض بابل، وزعموا أن مولد يحيى كان قبل مولد المسيح بستة أشهر، وأن مريم [عليها السلام]، حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة، وقيل: خمس عشرة، وقيل: عشرين، وأن عيسى عاش إلى أن رفع اثنتين وثلاثين سنة وأياماً، وأن مريم عاشت بعده ست سنين، فكان جميع عمرها إحدى وخمسين سنة، وأن يحيى قتل قبل أن يرفع المسيح، [وأتت المسيح النبوة والرسالة وعمره ثلاثون سنة][1].

وقد ذكرنا حال مريم في خدمة الكنيسة، وكانت هي وابن عمها يوسف بن يعقوب ابن ماثان النجار يليان خدمة الكنيسة، وكان يوسف حكيماً نجاراً يعمل بيديه ويتصدق بذلك، وقالت النصارى: إن مريم كان قد تزوجها يوسف ابن عمها، إلا أنه لم يقربها إلا بعد رفع المسيح، والله أعلم.

وكانت مريم إذا نفد ماؤها وماء يوسف ابن عمها، أخذ كل واحد منهما قلته، وانطلق إلى المغارة التي فيها الماء يستعذبان منه، ثم يرجعان إلى الكنيسة، فلما كان اليوم الذي لقيها فيه جبرائيل نفد ماؤها، فقالت ليوسف ليذهب معها إلى الماء، فقال: عندي من الماء/ ما يكفيني إلى غد، فأخذت قلتها، وانطلقت وحدها حتى دخلت المغارة، فوجدت جبرائيل قد مثله الله ﴿لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[2]، فقال لها: يا مريم، إن الله قد بعثني إليك ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾[3] أي: مطيعاً لله، وقيل: هو اسم رجل بعينه، وتحسبه رجلاً، ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾[4] أي: زانية، ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ إلى [قوله]: ﴿أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾[5].

ج١/١٧٥/ط

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٥٨٥).
(٢) سورة: مريم، الآية: ١٧.
(٣) سورة: مريم، الآية: ١٨.
(٤) سورة: مريم، الآية: ٢٠.
(٥) سورة: مريم، الآية: ٢١.

فلما قال ذلك استسلمت لقضاء الله، فنفخ في جيب درعها، ثم انصرف عنها وقد حملت بالمسيح، وملأت قلتها وعادت[١].

وكان لا يعلم في أهل زمانها أعبد منها ومن ابن عمها يوسف النجار، وكان معها، وهو أول من أنكر حملها، فلما رأى الذي بها استعظمه، ولم يدر على ماذا يضع ذلك منها، فإذا أراد أن يتهمها ذكر صلاحها، وإنها لم تغب عنه ساعة قط، وإذا أراد أن يبرئها، رأى الذي بها، فلما اشتد ذلك عليه كلمها. فكان[1] أول كلامه لها أن قال لها: إنه قد وقع من أمرك شيء قد حرصت على أن أميته وأكتمه فغلبني. فقالت: قل قولاً جميلاً. فقال: حدثيني هل ينبت زرع بغير بذر؟ قالت: نعم. قال: فهل ينبت شجر بغير غيث يصيبه؟ قالت: نعم، قال: فهل يكون ولد بغير ذكر؟ قالت له: نعم، ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلقه بغير بذر؟ ألم تعلم أن الله خلق الشجر من غير مطر! وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر، بعد ما خلق كل واحدة منها وحده! أو تقول لن يقدر الله على أن ينبت، حتى يستعين بالبذر والمطر! قال يوسف: لا أقول هكذا، ولكني[2] أقول: إن الله يقدر على ما يشاء، إنما يقول لذلك كن فيكون. قالت له: ألم[3] تعلم أن الله خلق آدم وحواء من غير ذكرٍ ولا أنثى؟ قال: بلى، فلما قالت له ذلك وقع في نفسه أن الذي بها شيء [من الله]، لا يسعه أن يسألها عنه، لما رأى من كتمانها له.

وقيل: إنها خرجت إلى جانب الحجرات، لحيض أصابها، فاتخذت من دونهم حجاباً من الجدران، فلما طهرت إذا برجل معها، وذكر الآيات، فلما حملت أتتها خالتها امرأة زكريا ليلة تزورها، فلما فتحت لها الباب التزمتها، فقالت امرأة زكريا: إني حبلى، فقالت لها مريم: وأنا أيضاً حبلى، قالت امرأة زكريا: فإني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك، وولدت امرأة زكريا يحيى، وقد اختلف في مدة حملها، فقيل: تسعة أشهر، وهو قول النصارى، وقيل: ثمانية أشهر، فكان ذلك آية أخرى؛ لأنه لم يعش مولودٌ لثمانية أشهر غيره، وقيل: ستة أشهر، وقيل: ثلاث ساعات، وقيل: ساعة واحدة، وهو

(١) ذكره الطبري في «تفسيره»، تفسير سورة مريم، الآيات: ١٨ ـ ٢١ (٩/ ٦٢)، وذكره ابن كثير في «تفسيره»، تفسير سورة مريم، الآيات: ١٨ ـ ٢١ (٣/ ١٢١، ١٢٢).

(1) في المخطوطة: فقال لها فكان.
(2) في المخطوطة: لكن.
(3) في المخطوطة: مريم ألم.

ج١/١٧٦/ط أشبه بظاهر القرآن العزيز لقوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا﴾[١] عقبه بالفاء[٢]/ .

فلما أحست مريم خرجت إلى جانب المحراب الشرقي، فأتت أقصاه ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾[٣] فقالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾[٤]، تعني نسي ذكري وأثري، فلا يرى لي أثر ولا عين، قالت مريم: كنت إذا خلوت حدثني عيسى وحدثته، فإذا كان عندنا إنسان سمعت تسبيحه

ج١/٤٤/أ في بطني ﴿فَنَادَىٰهَا﴾ جبرائيل ﴿مِن تَحْتِهَآ﴾/ أي من[1] أسفل الجبل ﴿أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾[٥] وهو النهر الصغير، أجراه تحتها، فمن قرأ من تحتها، بكسر الميم، جعل المنادي جبرائيل، ومن فتحها قال: إنه عيسى، أنطقه الله، ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾[٦] كان جذعاً مقطوعاً، فهزته فإذا هو نخلة.

وقيل: كان مقطوعاً فلما أجهدها الطلق احتضنته، فاستقام واخضر وأرطب، فقيل لها: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾، فهزته فتساقط الرطب، فقال[2] لها: ﴿فَكُلِى[3] وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[٧]؛ وكان من صام في ذلك الزمان لا[4] يتكلم حتى يمسي.

فلما ولدته ذهب إبليس، فأخبر بني إسرائيل أن مريم قد ولدت، فأقبلوا يشتدون بدعوتها، ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾، وقيل: إن يوسف النجار تركها في مغارة أربعين يوماً، ثم جاء بها إلى[5] أهلها، فلما رأوها قالوا لها: ﴿يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[٨] فما بالك أنت؟ وكانت من نسل هارون

---

(١) سورة: مريم، الآية: ٢٢.
(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/٥٩٦)، وذكره الطبري في «تفسيره» (٩/ ٦٤، ٦٥)، وذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (٣٤٤).
(٣) سورة: مريم، الآية: ٢٢.
(٤) سورة: مريم، الآية: ٢٣.
(٥) سورة: مريم، الآية: ٢٤.
(٦) سورة: مريم، الآية: ٢٥.
(٧) سورة: مريم، الآية: ٢٦.
(٨) سورة: مريم، الآية: ٢٧، ٢٨.

---

(1) في المخطوطة: سفح.
(2) في المخطوطة: فقيل.
(3) في المخطوطة: كُلي.
(4) في المخطوطة: لم.
(5) في المخطوطة: على.

أخي موسى، كذا قيل[1](١).

قلت: إنها ليست من نسل هارون، إنما هي من سبط يهوذ بن يعقوب، من نسل سليمان بن داود، وإنما كانوا يدعون بالصالحين، وهارون من ولد لاوي بن يعقوب.

قالت لهم ما أمرها الله به بعد ذلك، فلما أرادوها بعد ذلك على الكلام ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾، فغضبوا، وقالوا: لسخريتها بنا أشد علينا من زناها، ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾(٢)؟ فتكلم عيسى، فقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾(٣) فكان أول ما تكلم به العبودية، ليكون أبلغ في الحجة على من يعتقد أنه إله، وكان قومها قد أخذوا الحجارة ليرجموها، فلما تكلم ابنها تركوها، ثم لم يتكلم بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان.

وقال بنو إسرائيل: ما أحبلها غير زكريا، فإنه هو الذي كان يدخل عليها ويخرج من عندها، فطلبوه[2] ليقتلوه، ففر منهم، ثم أدركوه فقتلوه، وقيل: في[3] سبب قتله غير ذلك، وقد تقدم ذكره/ [4](٤). ج١ / ١٧٧ ظ

وقيل: إنه لما دنا نفاسها أوحى الله إليها: أن اخرجي من أرض قومك، فإنهم إن ظفروا بك عيروك وقتلوك وولدك؛ فاحتملها يوسف النجار، وسار بها إلى أرض مصر، فلما وصلا إلى تخوم مصر أدركها المخاض، فلما وضعت وهي محزونة قيل لها: ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ الآية إلى ﴿إِنسِيًّا﴾(٥)، فكان الرطب يتساقط عليها، وذلك في الشتاء، وأصبحت

---

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٥٩٩، ٦٠٠)، وذكره أيضاً في «تفسيره»، تفسير سورة مريم، الآيات: ١٦ ـ ٢١ (٩/ ٦٠ ـ ٦٤)، (٩/ ٦٦ ـ ٧١) (٩/ ٧٥ ـ ٧٦)، وذكره ابن عساكر في «مختصر تاريخ دمشق» (٢٦/ ٧٧)، وذكره ابن كثير في «تفسيره»، تفسير سورة مريم، الآيات: ١٦ ـ ٢١ (٣/ ١٢١، ١٢٤).

(٢) سورة: مريم، الآيتان: ٣٠، ٣١.

(٣) سورة: مريم، الآية: ٣١.

(٤) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٦٠٠)، وذكره أيضاً في «تفسره»، تفسير سورة مريم، الآية: ٣٤ (٩/ ٧٩)، وذكره ابن كثير في «تفسيره»، تفسير سورة مريم، الآية: ٣١ (٣/ ١٢٦)، وذكره الطبري في «تفسيره» تفسير سورة مريم الآية: ٣١ (٩/ ٧٩).

(٥) سورة مريم: الآية: ٢٤.

---

(1) في المخطوطة: قال.

(2) في المخطوطة: وطلبوه.

(3) في المخطوطة: كان.

(4) في المخطوطة: ذلك.

الأصنام منكوسة على رؤوسها، وفزعت الشياطين، [1]فجاؤوا إلى[1] إبليس، فلما رأى جماعتهم سألهم فأخبروه، فقال: قد حدث في الأرض حادث[2]، فطار عند ذلك وغاب عنهم، فمر بالمكان الذي ولد فيه عيسى، فرأى الملائكة محدقين به، فعلم أن الحدث فيه، ولم تمكنه الملائكة من الدنو من عيسى، فعاد إلى أصحابه وأعلمهم بذلك، [و] قال [لهم]: ما ولدت امرأة[3] إلا وأنا حاضر، وإني لأرجو أن أضل به أكثر ممن يهتدي، واحتملته مريم إلى أرض مصر[4]، فمكث اثنتي عشرة سنة تكتمه من الناس، فكانت[5] تلتقط السنبل والمهد في منكبيها[(١)].

قلت: والقول[6] الأول في ولادته بأرض قومها [للقرآن] أصح، لقول الله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾[(٢)] وقوله[7]: ﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[(٣)]

وقيل: إن مريم حملت المسيح إلى مصر بعد ولادته، ومعها يوسف النجار، وهي الربوة التي ذكرها الله تعالى، وقيل: الربوة دمشق، وقيل: بيت المقدس، وقيل غير ذلك، فكان[8] سبب ذلك الخوف من ملك[9] بني إسرائيل، وكان من الروم، واسمه هيردوس، فإن اليهود أغروه بقتله، فساروا إلى مصر، وأقاموا بها اثنتي عشرة سنة، إلى أن مات ذلك الملك، وعادوا إلى الشام، وقيل: إن هيردوس لم يرد قتله، ولم يسمع به إلا بعد رفعه، وإنما خافوا اليهود عليه، [والله أعلم][(٤)].

ذكر نبوة المسيح وبعض معجزاته

لما كانت مريم بمصر نزلت على دهقان، وكانت داره يأوي إليها الفقراء

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٥٩٥)، وذكره أيضاً في «تفسيره»، تفسير سورة مريم، الآيات: ٢٤ ـ ٢٦ (٩/ ٧١)، وذكره الثعلبي في «قصص الأنبياء» (٣٤٥، ٣٤٦).

(٢) سورة: مريم، الآية: ٢٧.

(٣) سورة: مريم، الآية: ٢٩.

(٤) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (٣٠٥).

(1-1) في المخطوطة: فجاء.

(2) في المخطوطة: حدث.

(3) في المخطوطة: ابني.

(4) في المخطوطة: مصر وبني الربوة.

(5) في المخطوطة: على.

(6) في المخطوطة: وكان.

(7) في المخطوطة: أقول.

(8) في المخطوطة: وكان.

(9) في المخطوطة: ملك مطر.

والمساكين، فسرق له مال، فلم يتهم المساكين، فحزنت مريم، فلما رأى عيسى حزن أمه قال: أتريدين أن أدله على ماله؟ قالت: نعم، قال: إنه أخذه الأعمى والمقعد، اشتركا فيه، حمل الأعمى المقعد فأخذه، فقيل للأعمى ليحمل المقعد، فأظهر العجز، فقال له المسيح: كيف قويت على حمله البارحة لما أخذتما المال؟ فاعترفا وأعاداه، ونزل بالدهقان أضياف، ولم يكن عنده شراب، فاهتم لذلك، فلما رآه عيسى دخل بيتاً للدهقان فيه صفان من جرار، فأمر عيسى بيده على أفواهها، وهو يمشي، فامتلأت شراباً، وعمره حينئذٍ اثنتا عشرة سنة(١).

وكان في الكتاب يحدث الصبيان بما يصنع أهلوهم، وبما كانوا يأكلون(٢).

قال وهب: بينما عيسى يلعب مع/ الصبيان إذ وثب غلام على صبي فضربه على رجله، فقتله/ فألقاه بين رجلي المسيح متلطخاً بالدم، فانطلقوا به إلى الحاكم في ذلك البلد، فقالوا: قتل صبياً، فسأله الحاكم، فقال: ما قتلته. فأرادوا أن يبطشوا به، فقال: ائتوني بالصبي حتى أسأله من قتله، فتعجبوا من قوله، وأحضروا عنده القتيل، فدعا الله فأحياه، فقال: من قتلك؟ فقال: قتلني فلان، يعني الذي قتله، فقال بنو إسرائيل للقتيل: من هذا؟ قال: [هذا] عيسى ابن مريم، ثم مات [الغلام] من ساعته(٣).

ج١ ١٧٨ ظ

ج١ ٤٤ ب

وقال عطاء: سلمت مريم عيسى إلى صباغ يتعلم عنده، فاجتمع عند الصباغ ثياب وعرض له حاجة، فقال للمسيح: هذه ثياب مختلفة الألوان، وقد جعلت في كل ثوب منها خيطاً على اللون الذي يصبغ به، فاصبغها حتى أعود من حاجتي هذه. فأخذها المسيح وألقاها في جب واحد، فلما عاد الصباغ سأله عن الثياب، فقال: صبغتها. فقال: أين هي؟ قال: في هذا الجب، قال: كلها؟ قال: نعم، قال: لقد أفسدتها على أصحابها! وتغيظ عليه. فقال له المسيح: لا تعجل وانظر إليها، [1]وقام وأخرجها[1] كل ثوب منها على اللون الذي أراد صاحبه، فتعجب الصباغ منه، وعلم أن ذلك من الله تعالى(٤).

ولما عاد عيسى وأمه إلى الشام نزلوا بقرية يقال لها: ناصرة، وبها سميت

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٥٩٧، ٥٩٨)، وذكره الثعلبي في «قصص الأنبياء» (٣٤٧ ـ ٣٤٩).
(٢) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (٣٠٦).
(٣) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (٣٤٩، ٣٥٠).
(٤) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (٣٥٠).

(1-1) في المخطوطة: فقام أخرج.

النصارى، فأقام إلى أن بلغ ثلاثين سنة، فأوحى الله إليه أن يبرز للناس، ويدعوهم إلى الله تعالى، ويداوي المرضى والزمنى والأكمه والأبرص وغيرهم من المرضى، ففعل ما أمر به، [1]وأحبه[1] الناس، وكثر أتباعه، [وعلا ذكره][(١)].

وحضر يوماً طعام بعض الملوك، [و] كان دعا الناس إليه، فقعد على قصعة يأكل منها ولا تنقص، فقال الملك: من أنت؟ قال: أنا عيسى ابن مريم، فنزل الملك عن ملكه واتبعه في نفر من أصحابه، فكانوا الحواريين[(٢)].

وقيل: إن الحواريين هم الصباغ الذي تقدم ذكره، وأصحاب له، وقيل: كانوا صيادين، وقيل: قصارين[(2)]، وقيل: ملاحين، والله أعلم. وكانت[(3)] عدتهم اثني عشر رجلاً، وكانوا إذا جاعوا أو عطشوا قالوا: يا روح الله قد جعنا وعطشنا، فيضرب يده إلى الأرض، فيخرج لكل إنسان منهم رغيفان وما يشربون. فقالوا: من أفضل منا؟ إذا شئنا أطعمتنا وسقيتنا! فقال: أفضل منكم من يأكل من كسب يده، فصاروا يغسلون الثياب بالأجرة[(٣)].

ولما أرسله الله أظهر من المعجزات أنه صور من الطين صورة طائر، ثم نفخ فيه، فيصير طائراً بإذن الله، قيل: هو الخفاش[(٤)].

ج١ ١٧٩ ط

وكان غالب على زمانه الطب، فأتاهم بما أبرأ/ الأكمه والأبرص، وأحيا الموتى تعجيزاً لهم، فممن أحياه عازر، وكان صديقاً لعيسى فمرض، فأرسلت أخته إلى عيسى أن عازر يموت، فسار إليه وبينهما ثلاثة أيام، فوصل إليه وقد مات منذ ثلاثة أيام، فأتى قبره فدعا له فعاش، وبقي حتى ولد له، وأحيا امرأة [4]وعاشت[4] وولد لها، وأحيا سام بن نوح، كان يوماً مع الحواريين يذكر نوحاً والغرق والسفينة، فقالوا: لو بعثت لنا من شهد ذلك! فأتى تلاً، وقال: هذا قبر سام بن نوح، ثم دعا الله فعاش، وقال: قد قامت القيامة؟ فقال المسيح: لا، ولكن دعوت الله[(5)] فأحياك، فسألوه فأخبرهم، ثم عاد ميتاً، وأحيا عزيراً النبي، قال

(١) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (٣٥٠).
(٢) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (٣٥١).
(٣) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (٣٥١).
(٤) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (٣٥٢).

(1-1) في المخطوطة: فأحبه.
(2) في المخطوطة: كانوا قصارين.
(3) في المخطوطة: كان.
(4-4) في المخطوطة: فعاشت.
(5) في المخطوطة: الله تعالى.

له بنو إسرائيل: أحي لنا عزيراً وإلا أحرقناك، فدعا الله فعاش، فقالوا: ما تشهد لهذا الرجل؟ قال: أشهد أنه عبد الله ورسوله، وأحيا يحيى بن زكريا، وأحيا غير من ذكرناه، وكان يمشي على الماء[١].

ذكر نزول المائدة

وكان من المعجزات العظيمة نزول المائدة، وسبب ذلك: أن الحواريين قالوا له: يا عيسى ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[٢]؟ فدعا عيسى؛ فقال: ﴿ٱللَّهُمَّ [رَبَّنَآ] أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا﴾[٣]، فأنزل الله المائدة، عليها خبز ولحم يأكلون منها ولا تنفد، فقال لهم: إنها مقيمة ما لم تدخروا منها. فما مضى يومهم حتى ادخروا[٤].

وقيل: أقبلت الملائكة تحمل المائدة، عليها سبعة أرغفة، وسبعة أحوات حتى وضعوها بين أيديهم، فأكل منها آخر الناس، كما أكل أولهم.

وقيل: كان عليها من ثمار الجنة، وقيل: كانت تمد بكل طعام، إلا اللحم[٥].

وقيل: كانت سمكة، فيها طعم كل شيء، فلما أكلوا منها، وهم خمسة آلاف، وزادت حتى بلغ الطعام ركبهم، قالوا: نشهد أنك رسول الله، ثم تفرقوا، فتحدثوا بذلك، فكذب به من لم يشهده، وقالوا: سحر أعينكم، فافتتن بعضهم وكفر، فمسخوا خنازير، ليس فيهم امرأة ولا صبي، فبقوا ثلاثة أيام، ثم هلكوا ولم يتوالدوا[٦].

وقيل: كانت المائدة سفرة حمراء، تحتها غمامة، وفوقها غمامة، وهم ينظرون إليها تنزل حتى سقطت[1] بين أيديهم، فبكى عيسى، وقال: اللهم اجعلني من الشاكرين! اللهم اجعلها رحمةً ولا تجعلها مثلة ولا عقوبة! واليهود ينظرون إلى شيء لم يروا مثله، ولم يجدوا

---

(١) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (٣٥٣).
(٢) سورة: المائدة، الآية: ١١٢.
(٣) سورة: المائدة، الآية: ١١٤.
(٤) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (٣٥٧)، وذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (٦/ ٣٧٢).
(٥) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (٣٥٧، ٣٥٨).
(٦) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (٣٥٨).

(1) في المخطوطة: سقطت.

ج١ ريحاً أطيب من ريحها، فقال شمعون: يا روح الله، أمن طعام الدنيا، أم من طعام الجنة؟
١٨٠/ط فقال المسيح/: لا من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة/، إنما هو شيء خلقه الله بقدرته،
ج١ فقال لهم: كلوا مما سألتم، فقالوا [له]: كل أنت يا روح الله، فقال: معاذ الله أن آكل منها!
١٤٥/أ فلم يأكل ولم يأكلوا منها، فدعا المرضى والزمنى والفقراء، فأكلوا منها، وهم ألف وثلثمائة، فشبعوا، وهي بحالها لم تنقص، نصح المرضى والزمنى، واستغنى الفقراء، ثم صعدت، وهم ينظرون إليها حتى توارت، وندم الحواريون حيث لم يأكلوا منها[١].

وقيل: إنها نزلت أربعين يوماً، كانت تنزل يوماً، وتنقطع يوماً، وأمر الله عيسى أن يدعو إليها الفقراء دون الأغنياء، ففعل ذلك، فاشتد على الأغنياء وجحدوا نزولها، وشكوا في ذلك، وشككوا غيرهم فيها، فأوحى الله إلى عيسى: إني شرطت أن أعذب المكذبين عذاباً لا أعذب به أحداً من العالمين، فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثة وثلاثين رجلاً، فأصبحوا خنازير، فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى، وبكوا، وبكى عيسى على الممسوخين. فلما أبصرت الخنازير عيسى بكوا، وطافوا به، وهو يدعوهم بأسمائهم، ويشيرون برؤوسهم [ولا يقدرون على الكلام، فعاشوا ثلاثة أيام، ثم هلكوا][٢].

ذكر رفع المسيح إلى السماء ونزوله إلى أمه وعوده إلى السماء

قيل: إن عيسى استقبله ناس من اليهود، فلما رأوه قالوا: قد جاء الساحر ابن الساحرة الفاعل ابن الفاعلة! وقذفوه وأمه، فسمع ذلك ودعا عليهم، فاستجاب الله دعاءه، ومسخهم خنازير، فلما رأى ذلك رأس بني إسرائيل فزع وخاف، وجمع كلمة اليهود على قتله، فاجتمعوا عليه؛ فسألوه؛ فقال: يا معشر اليهود إن الله يبغضكم، فغضبوا من مقالته، وثاروا إليه ليقتلوه، فبعث إليه جبريل، فأدخله في خوخة إلى بيت فيها روزنة في سقفها، فرفعه إلى السماء من تلك الروزنة، فأمر رأس اليهود رجلاً من أصحابه اسمه «نطليانوس» أن يدخل إليه فيقتله، فدخل فلم ير أحداً، وألقى الله عليه شبه المسيح، فخرج إليهم، فظنوه عيسى، فقتلوه وصلبوه[٣].

وقيل: إن عيسى قال لأصحابه: أيكم يحب أن يلقى عليه شبهي وهو مقتول؟ فقال رجل منهم: أنا يا روح الله. فألقي عليه شبهه، فقتل وصلب، وقيل: إن الذي شبه بعيسى

(١) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (٣٥٨).
(٢) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (٣٥٩).
(٣) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (٣٦٠)، وذكره ابن الجوزي في «مرآة الزمان» (١/ ٥٨١).

ج١ / ١٨١ ظ

وصلب، رجل إسرائيلي اسمه يوشع[1] أيضاً[١]/.

وقيل: لما أعلم الله[2] المسيح أنه خارج من الدنيا، جزع من الموت، فدعا الحواريين، فصنع لهم طعاماً، فقال: احضروني الليلة فإن لي إليكم حاجة، فلما اجتمعوا عشّاهم، وقام يخدمهم، فلما فرغوا، أخذ يغسل أيديهم بيده، ويمسحها بثيابه، فتعاظموا ذلك وكرهوه، فقال: من يرد عليّ الليلة شيئاً مما أصنع فليس مني، فأقروه حتى فرغ من ذلك، ثم قال: أما ما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدي، فليكن بي أسوة، فلا يتعاظم بعضكم على بعض، وأما حاجتي التي أستعينكم عليها فتدعون الله لي، وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أجلي. فلما نصبوا أنفسهم للدعاء أخذهم النوم، حتى ما يستطيعون الدعاء، فجعل يوقظهم ويقول: سبحان الله ما تصبرون لي ليلة! قالوا: والله ما ندري ما لنا، لقد كنا نسمر فنكثر السمر، وما نقدر عليه الليلة، وكلما نريد الدعاء حيل بيننا وبينه، فقال: يذهب بالراعي ويفترق الغنم، وجعل ينعي نفسه، ثم قال: ليكفرن بي أحدكم، قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات، وليبيعني أحدكم بدراهم يسيرة، وليأكلن ثمني، فخرجوا وتفرقوا، وكانت اليهود تطلبه، فأخذوا شمعون، أحد الحواريين، وقالوا: هذا صاحبه[٢].

واختلف العلماء في موته قبل رفعه إلى السماء، فقيل: رفع ولم يمت، وقيل: توفاه الله ثلاث ساعات، ثم أحياه ورفعه، ولما رفع إلى السماء قال الله له: انزل، فلما قالوا لشمعون عن المسيح جحد، وقال: ما أنا صاحبه! فتركوه. وفعلوا ذلك ثلاثاً، فلما سمع صياح الديك بكى، وأحزنه ذلك، وأتى أحد الحواريين إلى اليهود، فدلهم على المسيح، وأعطوه ثلاثين درهماً، فأتى معهم إلى البيت الذي فيه المسيح، فدخله، فرفع الله المسيح، وألقى شبهه على الذي دلهم عليه، فأخذوه وأوثقوه وقادوه، وهم يقولون له: أنت كنت تحيي الموتى، وتفعل كذا وكذا، فهلا تنجي نفسك؟ وهو يقول: أنا الذي دللتكم عليه، فلم يصغوا إلى قوله، ووصلوا به إلى الخشبة وصلبوه عليها[٣].

وقيل: إن اليهود، لما دلهم عليه الحواريّ اتبعوه، وأخذوه من البيت الذي كان فيه ليصلبوه، فأظلمت الأرض، وأرسل الله ملائكة، فحالوا بينهم وبينه، وألقى شبه المسيح

(١) ذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (٣٦١)، وذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٦٠٥).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٦٠١).
(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٦٠٢).

(1) في المخطوطة: الشيوع.
(2) في المخطوطة: الله تعالى.

على الذي دلهم عليه، فأخذوه ليصلبوه، فقال: أنا الذي دللتكم عليه، فلم يلتفتوا إليه، فقتلوه وصلبوه عليها/ . ج١/١٨٢/ط

ورفع الله المسيح إليه، بعد أن توفاه ثلاث ساعات، وقيل: سبع ساعات، ثم أحياه ورفعه، ثم قال له: انزل إلى مريم، فإنه لم يبك عليك [أحد] بكاءها، ولم يحزن أحد حزنها. فنزل عليها بعد سبعة أيام، فاشتعل الجبل حين هبط نوراً، وهي عند المصلوب تبكي، ومعها امرأة كان أبرأها من الجنون، فقال: ما شأنكما تبكيان؟ قالتا: عليك! قال: إني رفعني الله إليه، ولم يصبني إلا خير، وإن هذا شيء شبه لهم، وأمرها فجمعت له الحواريين، فبثهم في الأرض رسلاً عن الله، وأمرهم أن يبلغوا عنه ما أمره الله به، ثم رفعه الله إليه وكساه الريش، وألبسه النور، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، وطار مع الملائكة، فهو معهم، فصار إنسياً ملكياً سماوياً أرضياً فتفرق[1] الحواريون حيث أمرهم، فتلك الليلة التي أهبطه الله فيها، هي التي تدخن فيها النصارى[١].

وتعدى اليهود على بقية الحواريين/ يعذبونهم ويشتمونهم، فسمع بذلك ملك الروم، واسمه هيردوس، وكانوا تحت يده، وكان صاحب وثن، فقيل له: إن رجلاً كان في بني إسرائيل، وكان يفعل الآيات، من إحياء الموتى، وخلق الطير من الطين، والإخبار عن الغيوب، فعدوا عليه فقتلوه، وكان يخبرهم أنه رسول الله، فقال الملك: ويحكم ما منعكم أن تذكروا هذا من أمره، فوالله لو علمت، ما خليت بينهم وبينه! ثم بعث إلى الحواريين، فانتزعهم من أيدي اليهود، وسألهم عن دين عيسى، فأخبروه، وتابعهم على دينهم، واستنزل المصلوب[2] الذي شبه لهم، فغيبه، وأخذ الخشبة التي صلب عليها، فأكرمها وصانها، وعدا على بني إسرائيل، فقتل منهم قتلى كثيرة، فمن هناك كان أصل النصرانية في الروم[٢]، وقيل: كان هذا الملك هيردوس ينوب عن ملك[3] الروم الأعظم الملقب: قيصر، واسمه: طيباريوس، وكان هذا أيضاً يسمى ملكاً، وكان ملك طيباريوس ثلاثاً وعشرين سنة، منها إلى ارتفاع المسيح ثماني عشرة سنة وأياماً[4] [٣]. ج١/٤٥/ب

(١) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٦٠٢، ٦٠٣).
(٢) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٦٠٤)، وذكره الثعلبي في «عرائس المجالس» (٦١٨).
(٣) ذكره الطبري في «تاريخه» (١/ ٦٠٥).

(1) في المخطوطة: وتفرق.
(2) في المخطوطة: المصلوب من.
(3) في المخطوطة: الملك.
(4) في المخطوطة: أيام.